الأطفال والمكتبة
وإمكانية صناعة المستقبل

إعداد/ أ. عزة سلطان[1]

قد تكون عادة القراءة أمر من الصعب غرسه لدى الطفل، إذا أن ذلك يتطلب عدد من السلوكيات الإيجابية التي لابد لوعي الطفل أن يتربى عليها، هذه السلوكيات التي تتجلى في أولها في وجود قارئ بين أفراد الأسرة وكلما كان هذا الفرد له من الهيبة الكثير كلما كان للقراءة شأنه مثل الأب أو الأم.

أما ثاني هذه السلوكيات هو الوعي العام بقيمة القراءة كبوابة للمعرفة، هذا الوعي الذي يتمثل في المدرسة والشارع ووسائل الإعلام وكل ما يحيط بالطفل من رموز.

ولأن المجتمعات العربية هي مجتمعات غير قارئة بالأساس، ومع حركات إنشاء المكتبات ومحاولات غرس عادة القراءة، مع كل ذلك تعاظم دور النشاط، حيث أن غرس عادة القراءة يستلزم بالأساس أن يعتاد الطفل الذهاب إلى المكتبة، وهذا لا يتأتى إلا بوجود نشاط يجذب اهتمامه.

الأنشطة المكتبية، لم تعد مجرد ترفيه أو عامل إضافي يقوم به أخصائي المكتبة بل صارت عمل حيوي يتوازى دوره وأهميته مع باقي العمليات الفنية كالتزويد والإعداد الفني، والاستعارة وغيرها، ومن ثم بات التخطيط للنشاط والقيام به لابد أن يراعي عدد من المعايير والقيم.

تراعي هذه الورقة كيفية استخدام النشاط في غرس عادة القراءة لدى الأطفال، وتفعيلها ثم توجيه الأطفال نحو قراءة الكتب ذات المحتوى الثقافي والفني و الذي يساهم في تكوين شخصيات سوية.

كما تسعى الورقة لوضع عدد من المعايير عند تصميم وخلق النشاط، وكذلك خطط وضع الأهداف وكيفية تنفيذها، محاولة أن ترسم تصور عن إسهام المكتبة في خلق جيل يعرف قيمة الكتاب والمكتبة.

كما أن الورقة تحاول أن تؤكد على قيمة وأهمية الأنشطة المكتبية كوسيلة لتفعيل دور المكتبة

(1) أخصائي مكتبات ثالث، المكتبة المركزية، جامعة حلوان.

الاجتماعي والتثقيفي، علاوة على دور الأنشطة في الترويج للمكتبة ومقتنياتها واجتذاب مزيداً من المستفيدين.

ذات يوم حكى طفل عن قيامه بالعراك مع أحد سلاحف النينجا وقام بوضعه في بالوعة أمام منزله، وظل يجره وهو فوق الأرض حتى أخرجه من بالوعة في بلدة بعيدة بعد أن عذبه كثيراً وانتقم منه متفوقًا عليه في قدراته الأسطورية التي رآها الطفل سابقًا في أفلام الكارتون، استمعت الأم إلى الحكاية وابتسمت وتعاملت مع خيال طفلها بأنه مجرد خيال أطفال لا يعدو كونه مجرد أكاذيب وحكايا وهمية يبثها عقل الطفل ليملأ وحدته وفراغه الذي آل إليه نتيجة انشغال الأب والأم عن رعايته.

القصة تتكرر بشكل أو بآخر من طفل إلى آخر، وأطفال يحكون عن كائنات وهمية وأصدقاء من عوالم مختلفة يلعبون معهم ونحن الكبار ننظر إلى حكاياتهم بوصفها أكاذيب وفى أفضل الأحوال ننعتها بخيال الأطفال دون اهتمام.

هذا الخيال الذي لابد أن ننتبه لتكوينه وبنيته، والعمل على تأسيسه بشكل سليم، سواء بمتابعة ومراجعة الإنتاج الفكري في أدب الأطفال أو مراجعة الإنتاج المرئي المقدم للطفل.

وقد ينظر البعض أنه لا توجد علاقة مباشرة بين أدب الطفل ودراسات المكتبات مادام الأمر قد خرج عن الدراسات الكمية والببليومترية، حيث يرون انه لا علاقة مباشرة تجمع علوم المكتبات بأدب الطفل ومحتواه وتوجيهه، غير أنني لا اتفق مع وجهة النظر هذه فللمكتبة دور هام في توجيه الأطفال نحو ما ينتج لهم، هذا الدور الذي يبدأ من عملية الانتقاء والتزويد بالعناوين التي يراها أخصائيو المكتبة ملائمة لمجتمع مكتباتهم، ثم إتاحة هذا الإنتاج الفكري الذي ينتظر منه أن يشكل وعي وخيال الأطفال.

وفي مجتمعات كمجتمعاتنا العربية حيث القراءة عادة غير شائعة وغير أصيلة في مفردات الحياة اليومية يصبح عبء أخصائي المكتبة أكبر إذا عليه أولاً الاختيار السليم أثناء عملية التزويد، ثم يلي هذا الاختيار التوجيه السليم، فدوره لن يقتصر على إعداد الكتب فنيًا وإتاحتها على الأرفف وإنما سيمتد إلى ما بعد ذلك حيث عليه أن يقوم بإرشاد الأطفال إلى ما يحقق رغباتهم ويحقق لهم المتعة والفائدة، وقد يحدث ذلك عبر السؤال المباشر من الأطفال عن عنوان محدد أو أن يقوم أخصائي المكتبة بتوجيه الأطفال بطرق غير مباشرة عن طريق الأنشطة التي يقدمها في مكتبته وتحيل الأطفال إلى القراءة.

ربما هو طريق غير مباشر لإيجاد رابط بين أدب الأطفال والمكتبة في علاقات غير كمية لا تعني بالأرقام ودلالاتها الإحصائية، هو طريق ينظر إلى الأمور على المدى البعيد وما يمكن أن تحققه المكتبة من هؤلاء الأطفال بدفعهم لرسم مستقبل أفضل لأنفسهم ولمجتمعاتهم.

لكن على أخصائي المكتبة أولاً أن يعي مفهوم أدب الأطفال وحدوده فقد عرَّف بعضهم أدب

الأطفال، بقوله: إذا أردنا بأدب الأطفال كل ما يقال للأطفال بقصد توجيههم، فإنه قديم قدم التاريخ البشري، حيث يلتزم بضوابط نفسية واجتماعية وتربوية، ويستعين بوسائل الثقافة الحديثة، في الوصول إلى الأطفال، فإنه في هذه الحالة ما يزال من أحدث الفنون الأدبية

ومع عمومية هذا الرأي وانتشاره، ثمة تأكيد على أن هذا الفن ابتدأ منظمًا ومضبوطًا بقواعد وأصول، في أوروبا عمومًا، وفي فرنسا على الأخص، ومنها عمت بقية دول العالم، حتى بات أدب الأطفال يشكل ظاهرة ثقافية واجتماعية واقتصادية، من حيث تنوع موضوعاته وأحجامه وأصنافه، وعم تقريبًا كل مكان في العالم.

أدب الأطفال نوعان من الممارسة:

الأول: منتوج أدب الأطفال، الذي يصنعه الكبار غالبًا، وتقتصر مشاركة الأطفال فيه على التقليد، أو إبداء الإعجاب.

الثاني: نشاط الطفل الأدبي والفني، ويعتمد هذا المنتوج على إظهار الموهبة المبكرة، أو على ما يصنعه الأطفال خلال أداء الأنشطة الأدبية.

وأدب الأطفال قديم قدم قدرة الإنسان على التعبير، وحديث حداثة القصة أو الأغنية التي تسمع اليوم في برامج الأطفال بالإذاعة المسموعة والمرئية، أو تخرج من أفواه المعلمين في قاعات الدراسة، أو يحكيها الرواة في النوادي، ينسجون أدبًا يستمتع به الأطفال ويصلهم بالحياة.

وبذلك فإن أدب الأطفال لا يمكن أن يكون له تعريف مستقل، بل يندرج في إطار الأدب العام، وهو مرتبط بالكتاب والقارئ، فالأدب يمكن أن يعرف بأنه تجربة القارئ حين يتفاعل مع النفس طبقًا لمعانيه الخاصة ومقاصده ودلالاته.

أهمية أدب الأطفال:

إن الطفل بحاجة إلى أن يعرف ذاته، ويعرف البيئة المادية المحيطة به، والأديب يساهم في تهيئة الفرص اللازمة لتلك المعرفة، حيث يقدم مجموعة من الخبرات فيها حكمة الإنسان وآماله وطموحاته وآلامه وأخطاؤه ورغباته وشكوكه، والأطفال يميلون بصدق إلى أن يتذوقوا هذا السجل الحافل، ولا أدل على ذلك من شغفهم بالقصص التي تروي عليهم أو يقرؤونها، ومحاولتهم الجاهدة لفهم الكلمات المكتوبة الزاخرة بهذا السجل.

وكتب الأدب للأطفال تقدم لهم الكثير، عن أشياء من بيئتهم المادية. بما فيها من حيوان ونبات وشجر، ويزداد شوقهم للأدب كلما وضح لهم جانبًا جديداً من عالمهم بعيد المدى والاتساع.

والأدب بذلك يشغفهم، ويعدهم إعداداً صحيحًا للحياة العملية، بما يقدم لهم من معلومات

ومعارف، تمكنهم من السيطرة على عالمهم بعد أن اتضحت لهم جوانب مجهولة منه، وهم تواقون أبـدًا للسيطرة على هذا العالم، وتزداد حاجة الأطفال للأدب في عصر مثل عصرنا، تتكاثر فيه المسؤوليات، وتغيّر أنماط الحياة اليومية بسرعة فائقة .

وهو يساعد على تحسين أداء الأطفال، ويزودهم بقدر كبير مـن المعلومـات التاريخيـة والجغرافيـة والدينية والحقائق العلمية، ولاسيما القصة.

ويوسع الأدب خيال الأطفال ومداركهم، من خلال متـابعتهم للشخـصيات القصـصية، أو مـن خلال قراءتهم الشعرية، أو من خلال رؤيتهم للممثلين والصور المعبرة .كما أن الأدب يهـذب وجـدان الأطفال لما يثير فيهم من العواطف الإنسانية النبيلة، ومن خلال مواقف شخصيات القصة أو المـسرحية التي يقرؤها الطفل أو يسمعها أو يراها ممثلة، فيندمج مع شخصياتها ويتفاعل معها.

وإضافة إلى ذلك فالأدب يعوِّدُ الأطفال حسن الإصغاء، وتركيز الانتباه لمـا تفـرض عليـه القـصة المسموعة من متابعة لأحداثها، تغريه بمعرفة الجرأة في القول، ويهذب أذواقهم الأدبية، كما أنه يمـتعهم ويسليهم ويجدد نشاطهم، ويتيح فرصًا لاكتشاف الموهوبين منهم، ويعزز غرس الروح العلمية وحـب الاكتشافات، وكذلك الروح الوطنية، كما أنه يوجه الأطفال إلى نوع معين من التعلـيم الـذي تحتاجـه الأمة في تخطيطها كالتعليم الزراعي، والصناعي، بإظهـار مزايـا هـذا النـوع مـن خـلال سـلوك محـب لأصحاب هذه المهن .

فإذا كان ما سبق هو مفهوم أدب الأطفال وأهميته فإن أخصائي المكتبة يمكنه من خلال الأنشطة أن يعمل على تحقيق الأدب المرجوة من أدب الطفل بتوجيه الأطفال نحو القراءة حيـث يعـد النـشاط هامًـا لعدد من الأسباب نورد منها :

الأول: لما له من دور في التنمية الثقافية للأطفال الذين يترددون على المكتبة .

الثاني: لكونه يجذب عددًا أكبر من الأطفال لزيارة المكتبة ويمـنح فرصـة لأعـداد أخـرى لزيـارة المكتبـة وتفقدها .

الثالث: أن الأنشطة تجعل زيارة المكتبة طقس اعتيادي لغير القراء، والأطفال الذين لا يهتمون بالقراءة، وربما لا يحبونها أيضًا .

مفهوم الخدمة المكتبية:

ثمة خلط واضح في استخدام كلمتي " خدمة " و " نشاط " إذ أنه يتم اسـتخدامهما بـشكل متبـادل وكأنهما مرادف لعملية واحدة في حين أن المعنى مختلف .

وإذا تناولنا الدلالة الاصطلاحية لكل منهما نجد أن هناك عدد من التعريفات الـتي عنيـت بمفهـوم الخدمة المكتبية منها :

" يتضح مفهوم خدمات المكتبات والمعلومات في كافة التسهيلات التي تقدمها المكتبات ومراكز المعلومات من أجل استخدام مصادرها ومقتنياتها أحسن استخدام "

بحيث أنه يمكن القول أن خدمات المكتبات والمعلومات تعنى بالأنشطة والعمليات والوظائف والإجراءات والتسهيلات التي تقوم بها المكتبات ومراكز المعلومات، ممثلة في العاملين لديها، من اجل خلق الظروف المناسبة لوصول الباحث أو إشباع ما لديه من حاجات للمعلومات.

كما يمكن القول بأن المقصود بخدمات المعلومات هو تنظيم جيد وفعال للمعلومات، ويتم ذلك بفعل إجراء عمليات وإجراءات فنية، تجميع المعلومات، وتحليلها، وتنظيمها، وتوفر كادر متخصص له خبرة عملية وأكاديمية، ووسائل اتصال وأجهزة معلومات مختلفة، ويمكن تقديم المعلومات بأنواع متعددة من الخدمات بشكل تقليدي أو آلي من قبل المكتبات ومراكز المعلومات المختلفة[2].

أما الأستاذ "الدكتور حشمت قاسم فيشير إلى أن المقصود بخدمات المعلومات هو الناتج النهائي الذي يحصل عليه المستفيد من المعلومات والذي يتأتى نتيجة للتفاعل بين ما يتوافر لأجهزة المعلومات من موارد مادية وبشرية فضلاً عن تنفيذ بعض العمليات والإجراءات الفنية. وترتبط هذه الخدمات بطبيعة نشاط المستفيدين وأنماط احتياجهم إلى المعلومات، أي أن كل خدمة تهدف إلى مساعدة المستفيد على تخطي عقبة من العقبات الناتجة عن تفجر المعلومات[3]".

مفهوم الأنشطة المكتبية:

أما عن الأنشطة في المكتبات فهناك ندرة في تعريفاتها وقد عرفها كل من أحمد عبد الله العلي وأحمد محمد عيسوي بأنها "كافة التسهيلات التي تقدمها المكتبة للقارئ كي يتمكن من استخدام مقتنياتها في أقل وقت وجهد ممكن[4]"

وأود أن أختلف مع التعريف السابق عن الأنشطة حيث أرى أن الأنشطة هي ذلك العمل الذي يتم تقديمه في المكتبة بغرض تكامل الخدمة المكتبية بحيث يرضى كافة المستفيدين ويسهم في جذب أكبر عدد دون شرط الرغبة في القراءة والإطلاع ودون أن يكون الكتاب هو الهدف الأساسي للمستفيد.

الفارق بين الخدمات والأنشطة في المكتبات:

قد يتصور البعض انه لا فارق بين كلمتي الخدمات والأنشطة بحيث أن كثيرين من أخصائي المكتبات يستخدمونهما استخدامًا متبادلاً للدلالة على شيء واحد يكون في الغالب المقصود به هو

(2) http://home.birzeit.edu/dsc/DSPNEW/arabic/profile/DRC/lits-fatima.html
(3) أحمد عبد الله العلي. المكتبة العامة في خدمة المجتمع. ـ القاهرة: دار الكتاب الحديث، 2006. ص 73.
(4) أحمد عبد الله العلي و أحمد محمد عيسوي. مرجع سابق، ص 59.

الخدمة المكتبية وهنا أود الإشارة إلى الفارق الذي أراه بين الخدمة المكتبية والتي تعتمد على فعل القراءة كعنصر أساسي وتأتي هذه الخدمة/ الخدمات كشكل متمم لهذا الفعل وأساسي معه، بينما يأتي النشاط كفعل مستقل لا يستلزم ـ من وجهة نظري ـ توازى أو وجود فعل القراءة، وإنما يسعى النشاط لاجتذاب فئات لا تقرأ أو تكون القراءة أمر ثانوي لديها ثم يسعى النشاط لتحويل هؤلاء إلى قراء ومستفيدين بصورة أو بأخرى من المكتبة، بما يسهم في تعضيد دور المكتبة في خدمة مجتمعها، ومحاول دعم وتنمية البنية الثقافية لهم.

والخدمات المكتبية مثل الاستعارة والتصوير الإحاطة الجارية، والبحث على الخط المباشر وغيرها، أما الأنشطة فهي مثل الندوات عروض الفيديو، وعروض السينما، نوادي الأدب والعلوم.

علاقة الأنشطة بتحقيق دور المكتبة:

لا شك أن عادة القراءة تتراجع أمام التقنيات الحديثة في أشكال أوعية المعلومات وما توفره من سهولة ويسر في الوصول للمعلومة وشكل مباشر قد يوفر على المستفيد عناء البحث والقراءة لفترات طويلة، ولأننا لسنا بصدد مناقشة المتعة الشخصية الناتجة عن القراءة فنحن لن نقوم بتناول مميزات القراءة وما تصبغه على الفرد من سمات ومن تتركه من ثقافة كل ذلك لا يمكننا إقناع الآخرين به بشكل مباشر وذلك لعدد من الأسباب منها:

1. الفروق الفردية بين المستفيدين بحيث تتطلب كل شخصية نمط وطريقة وأسلوب في التعامل يختلف عن الآخرين.
2. أن فكرة الإقناع تستلزم مقومات شخصية لابد توافرها في شخصية أخصائي المكتبة، لسنا متأكدين أنها ستتوافر في الجميع.
3. لا يوجد وقت يهدره أخصائي المكتبة في التعامل مع غير القارئين وإقناعهم بالعدول عن عزوفهم عن القراءة.
4. الأمر الهام أنه إذ لم تكن هناك أنشطة لا تضع القراءة محور لها فإن غير القارئين لن يزوروا المكتبة بالأساس.

ومن ثم فإن الأنشطة تهدف إلى جذب فئات مختلفة التوجه والميول إلى زيارة المكتبة وتوطيد علاقتهم بالمكتبة كمكان ينتمون إليه ويوفر لهم احتياجاتهم التثقيفية والمعرفية، ثم تأتي الخطوة التالية من وجهة نظري وهو توجيه هؤلاء الفئات من غير القارئين على الكتاب كأداة مساعدة ومتممة للاستماع والتحصيل الثقافي الذي قام بتحصيله بعد ممارسته النشاط، كما يمكن إقناعهم بضرورة توثيق ثقافتهم ومراجعة مصداقية المعلومات عن طريق الكتب.

هنا يصبح النشاط فاعل في جذب المستفيدين إلى المكتبة وتعريفهم بها وبدورها، وعندما يتحول المستفيد من شخص غير قارئ إلى قارئ تأتي المرحلة التالية وهي تقديم خدمات مكتبية تتم عملية القراءة.

وللإيضاح فإن الأنشطة لا تستهدف فقط غير القارئين وإنما تستهدف كل الفئات وتحاول أن تسد احتياجاتهم المعرفية بوسائل وطرق متباينة بما يتوافق مع اختلافاتهم الفردية، ولذلك يصبح دور النشاط حيوي وفعال في المكتبة من أجل تأدية وظائفها وتحقيق أهدافها على النحو الأمثل.

وعلى أخصائي المكتبة أن يدرك أن كل فرد يمتلك قدر من الموهبة، ربما اختلفت في مقدارها وشكلها إلا أن الحقائق المتنوعة تؤكد أن الجميع لديه قدر من الابتكار وأن هذا القدر يتفاوت من فرد إلى آخر، بحيث أن هذه الإمكانية الابتكارية لا تظهر لدى غالبية البشر إلا إذا واجه الفرد مشكلة ووجد أن الحلول التقليدية لا تصلح، وتعرف الأستاذة الدكتورة نادية محمود شريف المبدع بأنه "ليس ذلك الذي تضطره الظروف اضطراراً إلى ابتكار حلولاً ولكنه ذلك الإنسان الذي يكتشف سبلاً جديدة أيسر وأوفر لحل مشكلة تنجح الطرق التقليدية في حلها ولكن بعناء شديد وتكلفة أكبر[5]".

وإذا اتفقنا مع نظرية رينزولي بأن كل البشر لديهم طاقات إبداعية وابتكارية فهل نحن جميعا مبدعون؟ والإجابة على هذا السؤال تتطلب التعرف على السلوك الابتكاري ومقومات استمراره وتنميته بداخل كل فرد، فالسلوك الابتكاري بحاجة إلى بيئة ومناخ وظروف تساعد على ممارسته وتحمل تبعاته، والتفكير الابتكاري يعني الاختلاف والخروج عن المألوف وعدم المسايرة وشطحات الخيال.. وهذه جميعًا أمورًا لا يمكن لكل فرد أن يتقبلها أو يقوم بها.

وإذا حاولنا أن نقف على مفهوم الابتكار سنجد أن له عدة أبعاد وكثير من المعاني حتى أنه لا يوجد مفهوم بعينه تم الاتفاق علية من زمرة العلماء إلا أن دكتور إسماعيل عبد الفتاح يعرف الابتكار بأنه:

"أي فكرة جديدة أو أسلوب أو مفهوم أو نمط جديد يتم التوصل إليه، ثم استخدامه في الحياة والفكرة الحديثة أو الأسلوب المستحدث ما هي إلا درجة من التفوق تفوق على غيرها من الأفكار والأساليب السابقة، وهي تكون في كافة مجالات الحياة الإنسانية وفى مختلف الميادين والتخصصات العلمية[6]".

وإذا كان وليامز يرى أن الابتكار له عدة جوانب أساسية يتكون منها هي:

- **الطلاقة**: وتعني القدرة على إنتاج عدد كبير من الأفكار والأسئلة.
- **المرونة**: وتعني القدرة على إنتاج عدد كبير متنوع من الأفكار، والتحول من نوع معين من الفكر إلى نوع آخر.

(5) نادية محمود شريف. مرجع سابق.

(6) إسماعيل عبد الفتاح. الابتكار وتنميته لدى أطفالنا. ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005. (مكتبة الأسرة). ص 17.

§ **الأصالة**: وهي القدرة على التفكير بطريقة جديدة أو التعبير الفريد، والقدرة على إضافة تفاصيل عديدة وجديدة على فكرة أو إنتاج معين.

هذا ما يطرحه وليامز بينما تؤكد دوديك[7] على أن الابتكار صفة مشتركة بمعنى أنها توجد لدى الجميع بحيث لا يستأثر بها جماعة عن أخرى، كما أن الاتجاه الابتكاري كامن في الجنس البشري، فالابتكار عملية عقلية أي أن الابتكار نتيجة للتفكير الابتكاري، فبعض الأفراد لديهم قدرة بسيطة على أن يفكروا أو يبتكروا، والبعض الآخر لديهم قدرة كبيرة على الابتكار والتجديد.

والشخص الابتكاري هو ذلك الشخص الذي يمكنه أن يطرح أفكاراً لما قد يطرأ عليه من صعاب ومشكلات مقدماً حلولاً متميزة.

ولأن القدرة الابتكارية أو الإبداعية هي عملية عقلية بالأساس فإنه يجب أن نعرف أن التفكير الابتكاري هو عبارة عن قدرة عقلية تنتج من أربعة مراحل:

- **مرحلة الاستعداد**: وهي تهيئة حياة المبتكر للتوصل إلى الابتكار.
- **مرحلة الحضانة**: وهي مرحلة وسطى بين الاستعداد والإلهام (تفكير).
- **مرحلة الإلهام**: وخلالها يظهر الحل الابتكاري بصورة مفاجئة.
- **مرحلة التحقق**: وأثناءها يحاول المبتكر بيان صحة ما تحقق من ابتكار أو إبداع عن طريق وضعه موضع الاختبار لبيان صحته.

بهذا القدر اليسير من المعلومات والتطرق لنظريات علماء الذكاء وعلم النفس نكون قد وقفنا على مفهوم للابتكار وللشخص المبتكر لكن هل المبتكر هو نفسه المبدع أم أن هناك ثمة خلط في استخدام المرادفين باعتبارهما ذا دلالة واحدة و معنى واحد؟؟

في الحقيقة أن الإبداع وجه من أوجه الابتكار وهو الصورة الأدبية أو الفنية للابتكار، فبينما يركز الابتكار على الشكل العلمي في معناه المتداول يأتي الإبداع ليعبر عن الصيغة الأدبية والفنية للابتكار والإبداع يسمى أيضًا إلهامًا.

والإبداع كمصطلح هو قريب من الاختراع في المفهوم حيث يطلق على إنتاج شيء ما، على أن يكون هذا الشيء جديد في صياغته، وإن كانت عناصره موجودة من قبل كإبداع عمل من الأعمال الأدبية أو العملية أو الفنية.

والإبداع نشاط إنساني يقوم على الجهد والإرادة وبه بعض الإلهام وبعض الصنعة أيضًا، وقد يقتصر الإبداع على الصياغة الأدبية والصنعة الفنية والارتفاع بمستوى الفكرة إلى التأصيل؟

(7) نقلاً عن إسماعيل عبد الفتاح. ـ مرجع سابق، ص 16، 17.

ويأتي الإبداع الحقيقي كصياغة للفكرة وإخراجها للوجود، ويقال أن الإبداع هو خلق للواقع وليس انعكاسًا له لأن المبدع هو الذي يتجاوز بتراكيبه الفنية منظور الرؤية البصرية إلى منظور الرؤية الحدسية التي تصطدم بهذا الواقع لتحلل جزئياته وتتوصل إلى اكتشاف ما بينها من علاقات.

والإبداع لا يمكن تصوره على أنه نتاج لقدرات عقلية معرفية بحتة، ولكن لابد من سياق اجتماعي يرعى سمات الإبداع وينميها خلال عملية التنشئة الاجتماعية، مما يساعد على تأصيل القدرات الإبداعية المختلفة[8].

علاقة النشاط المكتبي بالابتكار:

قد يعتقد البعض أنه لا علاقة للنشاط المكتبي بالعملية الابتكارية أو بالابتكار بشكل عام، هذا لأن الكثيرين قد دأبوا على التعامل مع الأنشطة بوصفها عمل روتيني بحت، لا يخرج عن كونه يقدم خطوات وطرق عمل مكررة ومجترة في غالبية المكتبات إن لم يكن كلها، فإذا أعدنا قراءة تعريف الأنشطة المقترح من قبلي والذي سبق ذكره في الفصل الأول نجد أن:

"الأنشطة هي ذلك العمل الذي يتم تقديمه في المكتبة بغرض تكامل الخدمة المكتبية بحيث يرضى كافة المستفيدين ويسهم في جذب أكبر عدد دون شرط الرغبة في القراءة والإطلاع ودون أن يكون الكتاب هو الهدف الأساسي للمستفيد".

المدقق في هذا التعريف يجد أنه لا يلجأ إلى الحلول العادية في التعامل مع المكتبة أو المستفيدين إنما هو يحاول أن يقدم عملاً مختلفًا ويسعى لإيجاد طرق مبتكرة وجديدة لجذب مزيدًا من المستفيدين إلى المكتبة وتوسيع قاعدة المكتبة ونشر خدماتها والمساهمة الفعلية في تنمية مجتمع المكتبة وخلق روابط أكثر قوة بين مجتمع المكتبة والمكتبة بالإضافة إلى تفعيل عادة القراءة وتأصيلها في أعماق الصغار، وحثها وتنميتها في أعماق الكبار.

ولعل هذا هو جوهر الابتكار وتعريفه الذي توصل إليه علماء الذكاء، ومن ثم فالنشاط في أصوله هو عمل ابتكاري لأنه يحاول أن يجد طرقًا مبتكرة يمكنه من خلالها جذب المستفيدين للمشاركة في مكتبته وتفعيل دورها في خدمة المجتمع، في حين انه لو لم يقم بهذه الأنشطة سوف يأتي بعض المستفيدين بغرض الاستعارة والإطلاع ولكن سيكون عددهم محدود وترددهم على المكتبة يشوبه كثيراً من البعد الزمني وافتقاد للعلاقة مع المكتبة ومع مقتنياتها.

وإذا كانت هذه العلاقة المكافئة بين النشاط والابتكار فإن كل أخصائي مكتبة قادر على تقديم نشاط متميز هو مبتكر وهذا طبعًا قياسًا على بعض نظريات المنطق الشهيرة.

(8) إسماعيل عبد الفتاح. مرجع سابق. ص ص 25، 26.

فإذا كان النشاط في مضمونها وشكله يعد ابتكاراً .

أخصائي المكتبة يقدم نشاطًا .

فإذن أخصائي المكتبة يقدم ابتكاراً وبالتالي هو مبتكر .

أخصائي المكتبة ما بين طموح الابتكار وتكرارية الأنشطة:

هل يحتاج أخصائي المكتبة أن يكون مبتكراً؟

كما ورد سابقًا فالابتكار كسمة وصفة إنسانية ليست بعيدة عن أي شخص، وبالتالي هي فقط تحتاج لإعادة تفعيلها والتعامل معها في حياة الأفراد، والمكتبي مثله مثل غيرها يحتاج أولاً أن يقتنع بدور مكتبه وان نجاحه وتحققه الوظيفي لن يتأتى إلا بتحقيق دور المكتبة ونشر خدماتها وزيادة أعداد المستفيدين منها والمترددين عليها إلى أقصى عدد ممكن، فإذا ما وصل إلى هذه القناعة فإنه سيحاول أولاً أن يخرج من عباءة التقليدية والتكرارية تلك الصفات القادرة على قمع أي توجه ابتكاري قد ينشأ بداخل أي فرد وهنا عليه أن يراعي عدد من النقاط هي :

1. **نزع القدسية**: أول المشكلات التي يسقط أخصائي المكتبات في شركها هي تلك الهالة المقدسة لعدد من الأنشطة بوصفها الأنشطة الأساسية والثابتة في المكتبة، تلك الأنشطة التي حفظها الطفل عن ظهر قلب، والهالة القدسية هنا تشمل شكل وطريقة تنفيذ الفكرة بحيث أننا نجد أن نشاط حكاية القصص يدار بنفس الطريقة وربما كانت نفس الحكاية أو لا يوجد تنوع يفي باحتياجات الأطفال. إذن فالأمر ليس مقدسًا على الإطلاق ولم يرد نصًا سماويًا بشأن طريق أو محتوى نشاط بعينه، ولذا فأول شيء على أخصائي المكتبة أن يتبعه هو أن ينزع تلك الهالة الغير حقيقية والتي تحيط بالأنشطة أو الأماكن التي تنفذها، وفكرة الأماكن هي الهالة المقدسة الثانية فإذا كانت هناك مكتبة كبيرة وتحظى برعاية ما من السلطة فإن أي نشاط تقدمه يعتبر بمثابة دليل لكثير من المكتبات لتنفيذه بنفس الطريقة حتى وإن اختلفت ظروف المكتبة ومجتمعها وميزانيتها، وإذا حاول أحد الزملاء الخروج عن القاعدة وجه باتهامات عديد وقوبل باستنكار ظنًا أنه بعيدًا عن الإتيان بأنشطة أفضل من تلك التي يتم تقديمها في المكتبة (س) وهى المكتبة ذات الصيت.
2. **دراسة مجتمع المكتبة والتعرف على احتياجاته**: إذا كنا نتحدث عن الابتكار والإبداع فعلينا أن نعرف المجال الذي سيتم فيه تقديم الابتكار وتفعيل دوره فيمكن أن يبتكر أخصائي المكتبة نشاطًا متميزاً لكنه غير ناجح في مكتبته لسبب بسيط أن اهتمامات مجتمع المكتبة لا تشمل مجال هذا النشاط

خلاصة القول أن الابتكار لا يعني فقط أن تقوم بتقديم جديد ومختلف ولكن أن يأتي هذا الجديد والمختلف متوافقًا مع المجتمع الذي تخدمه وتتعامل معه فلا يكون غريبًا عنهم ربما يكون جديداً متميزاً لكن لا يكون منفراً أو مستنكراً أو يدفعهم إلى السخرية من الفعل.

3. **إمكانيات المكتبة**: كثير من المكتبيين خاصة حديثي التخرج تكون لديهم تصورات رائعة وقدرات خلاقة لإبداع عمل مكتبي متميز، وهم ينطلقون في عملهم بكامل طاقتهم إلا أنهم يصطدمون وربما بعد فترة قصيرة بالروتين وضعف الميزانية وعدد من التفاصيل التي قد يكون بعضه شخصيا ناتج عن عدم اقتناع الإدارة العليا بدور المكتبة وهذا يحدث في كثير من المؤسسات التعليمية والعلمية، أو عدم وجود مرونة من الطاقم الإداري التابع له المؤسسة بحيث أن يقوم بتعطيل الأداء سواء كان قاصداً أو غير قاصداً لهذا التعطيل، إلا أن كل ذلك وغيره يمكنه أن يتسبب في إضفاء الفتور على عقل وإمكانيات أخصائي المكتبة، ومن هنا علينا أن نعيد النظر في التعامل مع المكتبة كمؤسسة مستقلة أو تابعة لجهة أخرى فالاندفاع ليس صحيًا تمامًا والحماس الزائد ربما لا يأتي بالنتيجة المثلى طوال الوقت، ولذا فعلى أخصائي المكتبة خاصة حديثي العهد بالعمل أن يتروى ويتعرف على إمكانيات المكتبة بنفسه ويتعرف على مجتمع المكتبة ووفق وظيفة المكتبة التي يعمل بها ثم يقوم بوضع خطته للأنشطة التي تراعي الاعتبارات السابقة والتي يتوافر بها قدر من المرونة بحيث يمكن تغييرها وتعديلها شكليًا دون المساس بأهدافها التي تخدم وظائف المكتبة ودورها.

4. **المشاركة وفريق العمل**: قد يعمل أخصائي المكتبة وحده في المكتبة ككثيرين من أخصائي المكتبة الذين يتحملون عبء المكتبات المدرسية وحدهم أو بعض فئات أخرى من المكتبات التي تخضع لمؤسسات ثقافية أو اجتماعية، وفى هذه الحالة لن يشعر أخصائي المكتبة بمشكلة فهو الوحيد الذي يبتكر وينفذ ويشرف على النشاط، لكن ماذا يفعل أخصائي المكتبة المبتكر أو الذي تتوافر لديه مهارات ابتكارية أكثر من زملائه أو لديه حماس أكثر منهم لأي سبب من الأسباب، في هذه الحالة فإن القدرات الابتكارية المتميزة أحد أخصائي المكتبة العامل في فريق عمل قد تثير حفيظة زملائه ذلك أنه بحماسه الزائد وقدراته الابتكارية إنما يوضح ثباتهم الوظيفي وفتور حماسهم وربما تجمد المهارات الابتكارية طرفهم، ولذلك على أخصائي المكتبة أن يستغل مهاراته الابتكارية في تفعيل ذكائه الاجتماعي بحيث لا يقوم بعمل وحده، ويعمل على طلب الدعم من كل الزملاء جاعلاً الأمر وكأنه بمثابة الاستفادة من خبراتهم ومهاراتهم وبهذا يمكنه أن يجعل منهم أداة مساعدة لتنفيذ عمله، محاولاً بذلك التغلب على صفات الفردانية والأنانية التي قد تفسد العمل، وتذكر عزيزي أخصائي المكتبة أنه إن لم تكتسب ود زملائك وتشعرهم أنهم متميزين بنفس قدر تميزك فقد يحدث أن يحاول بعضهم إفساد النشاط لك، وتعكير صفو العمل وهى جميعًا أجواء لا تصلح للابتكار أو الإبداع.

5. **تغيير الشكل وطريقة الأداء**: من المتعارف عليه في عالم التسويق تغيير شكل المنتج لإعادة جذب المستهلك مرة أخرى لسلعة ما، فإذا ما قمنا بتطبيق هذه الفكرة في عالم المكتبات فإننا يمكن أن نقدم النشاط بطريقة مختلفة بما يعطي إحساس للمستفيد انه بصدد أنشطة جديدة ومختلفة، والتجديد هنا لابد أن يشمل طريقة التقديم، وطريق الإعلان عن النشاط، وأحيانا طريقة التناول.

مثال: نشاط التلوين للأطفال يمكن أن نقوم بطبع صورة واحدة لكل طفل ونتحدث عن هذه الصورة ونترك لكل طفل حرية أن يلونها كيفما يريد وفى نهاية النشاط يحكي كل طفل عن أسباب اختياره لهذا اللون.

التعليق: هذا النشاط هو نفس نشاط التلوين المعتاد لكن أضفنا له قيمة فقد ساهمنا في تحديد أفكار الطفل وعلمناه مهارات جديدة كالاختيار وفق رغباته، وتركنا له حرية التعبير.

وكما هو واضح في المثال فإننا نسعى من فكرة تغيير الشكل وطريق الإعلان إلى إضفاء صفات جديدة على الأنشطة مهما كانت تقليدية أو مكررة، وهذه الفكرة تتيح طرقًا متعددة للتغلب على عقبات مثل ضعف ميزانية الأنشطة في المكتبة أو ندرة القوى العاملة في المكتبة.

الخلاصة:

يمكن للنشاط إذ تم تصميمه بطرق سليمة وتم تنفيذه وفق خطة واضحة ومحددة الأهداف سلفًا أن يكون بمثابة الأداة السحرية لنشر الأدب الأطفال وتحقيق رسالته.

وعلى أخصائي المكتبة أن يستقى أدوات أنشطته من مقتنيات المكتبة وأن يكون همه الأساسي تفعيل دور مقتنياته في حياة الأطفال، وإضفاء الأهمية على ما لديه، ثم اختبار مدى استفادة الأطفال من مقتنيات المكتبة على فترات عن طريق المسابقات والمناظرات وغير ذلك من الأنشطة التي تدعم دور المكتبة في حياة الأفراد سواء كانوا كبارًا أو صغارًا.

obeikandl.com